صحبة الإنسان لغير بنـي جنسه
دراسة عقدية

د. خالد بن مُحَمَّد الرباح(١)

الملخص

موضوع البحث: صحبة الإنسان لغير بني جنسه، دراسة عقدية.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى بيان معنى الصحبة، والأجناس التي يمكن أن تتحقق فيها الصحبة بين الإنسان وغيره، وأهم المسائل العقدية المتعلقة بمصاحبة الإنسان لغير بني جنسه.

منهج البحث: سلكت المنهج الاستقرائي التحليلي للنصـوص الـواردة في الصـحبة، وذلـك وفق خطة البحث.

أهم النتائج: الصحبة هي الملازمة والمقارنة والمرافقة، وصحبة الإنسان لغير بني جنسه منها: الصحبة بين الملائكة والإنسان، وهذه الصحبة قد تكون صحبة مؤقتة في بعض المواطن، وقد تكون دائمة، وقد يصحب الإنسانُ الشيطانَ في أحوالٍ كثيرة، وكل إنسان وُكِّل به قرينه من الجن.

(١) الأستاذ المساعد في كلية التربية بالزلفي بجامعة المجمعة
حاصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأطروحته: (جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في الدفاع عن آل البيت).
حاصل على الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: (المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان – جمعًا ودراسة).
Kmr9908 @gmail.com

ومن الصحبة، صحبة القرآن، فمن الناس من يوفق فيكون صاحبًا للقرآن، وهذه الصحبة تتحقق بحفظه، وتلاوته، والعمل به، وفهمه وتدبره، وقد يصاحب بعض البشر الحيوان، كما في عبادة بعضهم له، وكذلك اتخاذها زمن الفتنة، وقد يصاحب الإنسان مكانًا أو زمانًا معينًا، وذلك بملازمته له، لكن لابد أن تكون هذه الملازمة لهذا المكان قد جاء الدليل على تفضيلها، وتكون الملازمة موافقة لما قرره الشرع.

أهم التوصيات: تناول البحث صحبة الإنسان لغير بني جنسه وما اشتملت عليه من مسائل عقدية، فيحسن جمع المسائل العقدية المتعلقة بصحبة الإنسان لغيره من البشر، مثل: القرين، والوالدين، والزوجة، والكافر، وغيرهم؛ ففيها مسائل كثيرة لها أهمية.

الكلمات الافتتاحية: الصحبة، الملائكة، القرآن، الشيطان، الحيوان.

Abstract

Research Subject: Human Companionship with Other Creatures: a Doctrinal Study.

Objectives of the Research: The research aims to clarify the meaning of companionship, the races of creatures with which companionship can emerge between a human and others, and the most important doctrinal issues related to the companionship of a human with other than his gender.

Research Approach: the researcher followed the inductive analytical approach of the texts about the companions according to the research plan.

The most Important Results: Companionship is defined in terms of association, comparison, and fellowship. A human's companionship with other creatures other than his kind includes companionship with the angels, whether temporarily at some times or permanently at others. The human may accompany Satan in many cases, and every human is assigned to his companion from the jinn.

Among the types of companionship is the companionship with the Holy Quran. Some people can be companions of the Quran by memorizing it, reciting it, and working according to its teachings, in addition to understanding it and contemplating its meanings. In addition, some humans may accompany animals, as in the worship of some people to animals, as well as taking animals as comrades in times of temptation. People also may accompany certain times and places that are sacred according to religious reasons. Such companionship must take place in accordance with the teaching of Sharia.

The Most Important Recommendations: The research deals with human companionship with creatures other than his gender, and the doctrinal issues it contains. Therefore, it is recommended to collect the doctrinal issues related to the company of a person with other people, such as friends, parents, wives, infidels, and others because there are many important issues in it.

Key Words: Companionship, Angels, Quran, Satan, Animal.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الإنسان في هذه الحياة وفطره على حب المخالطة والمعاشرة لغيره، فالمرء محتاج إلى شيء يصحبه في هذه الحياة، والصحبة قد تطول وقد تقصر، ولَمَّا كانت الصحبة بهذه الأهمية، كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في عقيدة الإنسان وسلوكه، من خير أو شر؛ ولهذا حثت الشريعة الإسلامية على الاهتمام بموضوع الصحبة، وحثت المسلم على الصحبة الصالحة، وتجنب صحبة السوء والحذر منهم، وليست الصحبة مقصورة على البشر، فقد يصحب الإنسان غير البشر، فقد يصاحب الملائكة، وقد يصحب شيطانًا يتخذه قرينًا، يتحقق لكل واحدٍ منهما مصلحة من صاحبه، وقد يتخذ الإنسان القرآن صاحبًا له، وقد يصحب حيوانًا، أو مكانًا، أو زمانًا، وما يصاحبه المرء له أثرٌ عظيم في توحيده وعقيدته، وقد رغبت في أن أكتب بحثًا بعنوان:

(صحبة الإنسان لغير بني جنسه

دراسة عقدية)

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث في الأمور الآتية:

١. عناية الإسلام بموضوع الصحبة، وكثرة النصوص التي جاءت في شأنها.

٢. حاجة الإنسان إلى الصحبة؛ إذ يصعب على الإنسان العيش منعزلاً.

٣. صحبة الإنسان لغيره ليست مقصورة على بني جنسه، بل قد يصحب أشياءَ أخرى، كالملائكة، أو القرآن، أو غيرها، فاقتضى الموضوع بيان ذلك ودراسته.

مشكلة البحث

الصحبة لها شأن عظيم في حياة الإنسان، وقد كثرت النصوص التي تبين أهميتها في حياة المسلم، وأكثر الحديث الذي يتناوله الباحثون: صحبة الإنسان لغيره من البشر، وهناك صحبة أخرى متحققة للإنسان، لا تقل شأنًا عن الأولى، وهي مصاحبته لغير بني جنسه، وفي إفراد هذا القسم بالبحث تكميلٌ للموضوع، وبيان للمسائل العقدية فيه.

أهداف البحث

١. بيان معنى الصحبة، وما يرادفها من ألفاظ.

٢. بيان الأجناس التي يمكن أن تتحقق فيها الصحبة، بين الإنسان وغيره.

٣. توضيح المسائل العقدية المتعلقة بمصاحبة الإنسان لغيره.

منهج البحث

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي للنصوص الواردة في الصحبة، وذلك وفق خطة البحث.

إجراءات البحث

١. جمع النصوص من الكتاب والسنة التي جاءت في بيان أهمية الصحبة، ثم تقسيمها حسب خطة البحث، وتحليل معناها ودلالتها.

٢. بيان الأثر العقدي لكل نوعٍ من أنواع الصحبة.

٣. عزو الآيات، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٤. تخريج الأحاديث، وذلك بذكر من خرّجه ورقم الحديث، فإن كان في الصحيحين اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، وإن كان في غيرهما ذكرت حكمه.

٥. بيان ما يحتاج إلى توضيح من المصطلحات أو الكلمات الغريبة، وذلك بالرجوع إلى الكتب المختصة في ذلك.

حدود الدراسة

ما يمكن أن يصاحبه الإنسان من غير بني جنسه، وما يتعلق بتلك الصحبة من مسائل عقدية.

الدراسات السابقة

يوجد بعض الدراسات التي تناولت موضوع الصحبة من جوانب أخرى، فمن هذه الدراسات:

١. **الصحبة في القرآن الكريم:** د. شومة بنت محمد البلوي، أستاذ البلاغة والنقد المساعد بجامعة تبوك، في قرابة (٧٤) صفحة، والكتاب نشره دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٣٩هـ.

٢. **الصحبة في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية):** للباحثة: أسماء وجيه أبو صفية، وهو: متمم للحصول على درجة الماجستير، من الجامعة الإسلامية في غزة، والبحث في حدود (١٥٠) صفحة.

وهاتان الدراستان تناولتا موضوع الصحبة في القرآن، وأنواع الصحبة، وصفات الصحبة الصالحة والسيئة، وأهمية اختيار الصديق، وما جاء في القرآن من النصوص التي تتعلق بموضوع الصحبة.

وهذا البحث جاء التركيز فيه على جوانب الصحبة المتعلقة بمسائل العقيدة، من خلال صحبة الإنسان لغير بني جنسه، حيث تطرقتْ لصحبة الملائكة، والقرآن، والشيطان،

والحيوان، والمكان والزمان، ولعله يكون متممًا لما سبق من الدراسات، ومكملاً لجوانب أخرى ذات أهمية -أيضًا- والله الموفق.

خطة البحث

تتكون خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس، وهي كالتالي:

المقدمة: وفيها:

أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وأهدافه، والمنهج المتبع في البحث، حدود الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: تعريف الصحبة.

المبحث الأول: صحبة الملائكة.

المبحث الثاني: صحبة الشيطان.

المبحث الثالث: صحبة القرآن.

المبحث الرابع: صحبة الحيوان.

المبحث الخامس: صحبة المكان والزمان.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس: وتشمل: فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

تعريف الصحبة

الصحبة لغة

الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة الشيء ومقاربته، ومن ذلك الصاحب [١]، يقال: صحبه يَصحبه صُحبة بالضم، وصَاحبه بالفتح: عاشره، والصاحب المعاشر، والصَّحب جمع الصاحب، والأصحاب جماعة الصحب، واصطحب الرجلان، وتصاحبا، واصطحب القوم: صحب بعضهم بعضًا، وأصحب البعير والدابة انقادَا، واستصحبه دعاه إلى الصحبة [٢]، وكل شيءٍ لاءم شيئًا فقد استصحبه [٣].

والصاحب: المرافق والمالك للشيء، والقائم عليه، والصاحبة الزوجة [٤].

الصحبة اصطلاحًا

عرفها الراغب بقوله: «الصَّاحِبُ: الملازم إنسانًا كان أو حيوانًا، أو مكانًا، أو زمانًا. ولا فرق بين أن تكون مُصَاحَبَتُهُ بالبدن -وهو الأصل والأكثر- أو بالعناية والهمّة» [٥].

وعرف الطاهر بن عاشور الصاحب بقوله: «الصاحب حقيقته: ذو الصحبة، وهي الملازمة في أحوال التجمع والانفراد، للمؤانسة والموافقة، ومنه قيل للزوج: صاحبة، وللمسافر مع غيره صاحب» [٦].

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ٣٣٥ مادة (صحب).
(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٥١٩-٥٢١، والصحاح، الجوهري، ١٦١، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١/ ١٠٤ مادة (صحب).
(٣) ينظر: الصحاح، الجوهري، ١/ ١٦١.
(٤) ينظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ١/ ٥٠٧.
(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأَصْبَهاني، ٤٧٥.
(٦) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٣٠/ ١٥٧.

فالصاحب: هو الذي يلازمك في الزمان والمكان، وقد يكون صديقًا أو عدوًّا، وقد تكون الصحبة مؤقتة في الطريق، وقد تكون تلك الصحبة المؤقتة بين مسلم وكافر، وقد تكون الصحبة مؤبدة مثل الوالدين، ومثل الزوجة الدائمة؛ لأنها تصحب الزوج طيلة عمره، والجار أيضًا من أنواع الصحبة المستمرة، وله حق، فالصاحب قد يكون صديقًا على دين صاحبه نفسه، وقد يكون محبًّا لصاحبه وقد لا يكون، والصحبة قد تكون لإنسان، وقد تكون لغير الإنسان من الشياطين، أو الحيوان، أو الجماد، كما يقال: صاحب المال، وأصحاب الكهف لملازمتهم له، وأصحاب الحجر، وأصحاب القرية.

ويلاحظ أن أكثر ما تستعمل الصحبة بمعنى الصداقة، ويطلق الصاحب ويراد به الجليس.

فالخلاصة: أن الصحبة تطلق على ملازمة شيءٍ لشيءٍ، ومخالطته له طال الزمن أو قصر.

ومرادي بالصحبة هنا: كل ما تتحقق فيه المرافقة والملازمة بين الإنسان وغيره، من غير بني جنسه، مما يتعلق به مسائل عقدية.

المبحث الأول

صحبة الملائكة، صورها، وآثارها على العبد

الملائكة عالم غيبي، خلقوا من نور، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، قائمون على عبادة الله تعالى، وتدبير شؤون الكون بأمره سبحانه، وقد أعطاهم الله تعالى سرعة وقدرة على التشكل.

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الملائكة تصحب البشر في بعض أحيانهم، ومما يدل على مصاحبتها للبشر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما منكم من أحدٍ، إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ، فلا يأمرني إلا بخير)) وفي رواية أخرى: (وقرينه من الملائكة)[1].

وصحبة الملائكة يعود على المؤمن منها نفعٌ كبير، فعلى المسلم أن يحرص على المواطن التي تستجلب صحبة الملائكة، ويحذر مما يكون سببًا للحرمان من صحبتهم؛ لما لهم من منـزلة عظيمة عند الله، ولما يقومون به من أعمالٍ جليلةٍ تستوجب محبتهم والحرص على صحبتهم.

المطلب الأول: الصور التي تتجلى فيها صحبة الملائكة للبشر

أولاً: صحبة جبريل للنبي ﷺ

تحققت الملازمة بين النبي ﷺ وجبريل عليه السلام في مواطن كثيرة، وحصلت الصحبة بينهما في عدة مواطن، وقد ورد إطلاق الصاحب على جبريل عليه السلام فقد جاء في سبب نزول سورة الضحى أن امرأة قالت للنبي ﷺ: ((ما أرى صاحبك إلا قد أبطأك))[2]،

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، حديث (٢٨١٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ما ودعك ربك وما قلى)، حديث (٤٩٥١).

وعندما سألت اليهود النبي ﷺ فقالوا له: ((فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل عليه السلام))(١)، وكان النبي ﷺ يحرص على زيارة جبريل عليه السلام له، ويفرح بها، وقد قال له: ((يا جبريل، ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنـزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]، إلى آخر الآية))(٢).

ومن هذه المواطن التي تحققت هذه الصحبة فيها بين النبـي ﷺ وجبريـل عليه السلام ما يلي:

١. الإسراء والمعراج

أُسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ثم عرج به إلى السماء حتى وصل إلى السماء السابعة، وقد كان عليه الصلاة والسلام في هذه الرحلة العظيمة برفقة جبريل عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، حيث ركبا معًا البراق، ثم صحب النبيُّ ﷺ جبريلَ في عروجه من الأرض إلى السماء السابعة، فكان جبريل عليه السلام يستأذن له في دخول كل سماء، وقابل به الأنبياء في كل سماء، وسلم عليهم وعرفه بهم، حتى وصل به سدرة المنتهى وكلمه ربه ثم فرض عليه الصلاة، ثم رجع به إلى مكانه الذي انطلقَا منه(٣).

(١) مسند أحمد، ٤/ ٢٨٤، حديث (٢٤٨٣)، وحسنه المحقق: شعيب الأرنؤوط.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، حديث (٧٤٥٥).
(٣) ينظر الحادثة مطولة في: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، حديث (٣٨٨٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، حديث (١٦٤).

٢. مدارسة جبريل للنبي ﷺ القرآن في رمضان

ومن الصور العظيمة التي تجلت فيها الصحبة بين الملائكة عليهم الصلاة والسلام والبشر، مصاحبة النبي ﷺ لجبريل، ومدارسته القرآن معه في رمضان، إذ يلزم من هذه المدارسة طول الصحبة، وأكرم بها من صحبة، جمعت أفضل البشر عليه الصلاة والسلام مع أفضل الملائكة، وكان الاجتماع على أفضل علم، وهو كلام الله تعالى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: ((كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فَلَرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسلة))(١).

ثانيًا: القتال مع المؤمنين

ومن الصور التي تجلت فيها صحبة الملائكة للبشر، قتالهم مع المؤمنين، وتأييدهم لهم، فمن ذلك مشاركتهم في غزوة بدر، قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

وقال ﷺ يوم أحد: ((هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة حرب))(٢)، وكذلك شاركت في غزوتي الخندق وبني قريضة(٣).

ثالثًا: حضورهم مجالس الذكر

الملائكة تبحث عن مجالس الذكر، فتصحب أهلها وتجلس معهم، وتشهد لهم، فعن أبي

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول ﷺ، حديث (٦)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٢٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث (٤٠٤١).

(٣) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغسل بعد الحرب والغبار، حديث (٢٨١٣)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد...، حديث (١٧٦٩).

هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم))، قال: ((فيحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا))(١).

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده))(٢).

رابعًا: شهودهم صلاتي الفجر والعصر مع المؤمنين

ومن صور صحبة الملائكة للمؤمن اجتماع ملائكة الليل والنهار، فتشهد مع المؤمنين صلاتَي الفجر والعصر، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ((يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون، وأتيناهم وهم يصلّون))(٣).

خامسًا: الحفظة من الملائكة لبني آدم

ومن صحبة الملائكة لبني آدم، أن الله تعالى وكّل ملائكة تصحب كل واحد من البشر، فتحفظه بأمر الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله (٦٤٠٨)، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، حديث (٢٦٨٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب باب فضل مجالس الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث (٢٦٩٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٥٥٥)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث (٦٣٢).

أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

فما من إنسان إلا وقد وَكّل الله تعالى به ملائكة، تصحبه وتحفظه بأمر الله تعالى من كل ما يضره، فإذا جاء قدر الله الذي قدِّر أن يصل إليه خلّوا عنه(١).

سادسًا: الملائكة الموكلة بتسجيل أعمال بني آدم

وكّل الله تعالى بكل إنسان ملائكة تصحبه صحبة دائمة، تحفظ أعماله من خير أو شرّ، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وهم المعنيّون بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠].

يقول السعدي رحمه الله: «وقد أقام الله عليكم ملائكة كرامًا يكتبون أقوالكم وأفعالكم، ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب(٢)، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم وتجلّوهم وتحترموهم»(٣).

(١) ينظر: معالم التنـزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٤/ ٣٠٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٤٣٧.

(٢) والملائكة قد يطّلعون على شيء مما في قلوب بني آدم وذلك بإطلاع الله تعالى لهم، كما دل عليه الحديث الذي رواه البخاري (٤٦٩٠): ((إن الله كتب الحسنات والسيئات...))، وقد سئل ابن تيمية عن هذا الحديث، وكيف تطلع الملائكة على الهم الذي يقع من الإنسان، فأجاب: «الحمد لله، قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال: (إنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة، وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة). والتحقيق: أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادر على أن يُطلِع بعض البشر على ما في الإنسان. فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانًا ما في قلب الإنسان: فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك». مجموع الفتاوى، ٤/ ٢٥٣، وينظر أيضا كلامه في مجموع الفتاوى، ٥/ ٥٠٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٩١٤.

المطلب الثاني: الأمور التي تَحرِم الإنسان من صحبة الملائكة

أولاً: امتناع الملائكة من دخول البيت الذي فيه كلب، ومن مرافقة الصحبة التي فيها كلب

أخبر النبي ﷺ بأنّ البيت الذي فيه كلب، والرفقة الذين معهم كلب محرومون من حضور الملائكة وصحبتها لهم؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((واعد رسولَ الله ﷺ جبريلُ عليه السلام في ساعة يأتيه فيها، فجاءت الساعة ولم يأتِه، وفي يده عصا فألقاها من يده، وقال: ما يخلف الله وعده ولا رُسُلُه، ثم التفت فإذا جرو كلب[1] تحت سرير، فقال: يا عائشة، متى دخل هذا الكلب هنا؟ فقالت: والله ما دريت، فأمر به فأُخرج، فجاء جبريل، فقال رسول الله ﷺ: واعدتني فجلست لك، فلم تأتِ، فقال: منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنّا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة))[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب، ولا جرس[3])) [4].

قال النووي رحمه الله: «وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأنَّ بعضها يسمى شيطانًا كما جاء به الحديث[5]، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة

(١) الجرو: بكسر الجيم وضمها وفتحها، ثلاث لغات مشهورات، وهو: الصغير من أولاد الكلاب، وسائر السباع. ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٤٤٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان... (١٠٥٤) برقم (٢١٠٤).

(٣) الجرس: هو ما يعلق على الدواب، ولعلَّ سبب كون الملائكة لا تصحب الرفقة التي فيها جرس: أنَّه شبيه بالنواقيس، ولما في صوته من العزف والموسيقى. ينظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٤/ ٩٥، وشرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٦/ ٤٣١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس، باب كراهة الكلب والجرس في السفر (١٠٥٦) برقم (٢١١٣).

(٥) جاء في الحديث: ((الكلب الأسود شيطان))، أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب: قدر ما يستر المصلي (٧٥٧) برقم (٥١٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة، ولأنها منهيّ عن اتخاذها، فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه وفي بيته، ودفعها أذى الشيطان، وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتًا فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال؛ لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها»[١]، فالنووي -رحمه الله- يختار أن الملائكة الذين لا يدخلون بيتًا فيه كلب أو صورة هم ملائكة الرحمة، أما الحفظة فيدخلون كل بيت.

والقول الثاني: أنَّ امتناع الملائكة من البيت الذي فيه صورة أو كلب ظاهره عموم الملائكة؛ إذ لا يوجد نص يخصص الحفظة من الامتناع، فجائز أن يطلعهم الله تعالى على عمل العبد ويسمعهم قوله وهم على باب الدار[٢].

وأبعد فريق آخر من العلماء؛ حيث جعلوا امتناع الملائكة من دخول البيت الذي فيه صورة أو كلب خاصًّا بمن ينـزل بالوحي، وهو جبريل؛ إذ يلزم من ذلك أن يكون اختصاص النهي بعهد النبي ﷺ؛ لأن الوحي انقطع بعده، وكذلك قالوا في امتناع الملائكة من الصحبة التي فيها جرس أنه محمول على الرفقة التي فيها رسول الله ﷺ، وهو تأويل بعيد جدًّا[٣].

والبيت يراد به المكان الذي يستقر فيه الشخص، سواء أكان بناءً، أم خيمة، أم غير ذلك[٤].

وللعلماء رحمهم الله قولان في الكلاب التي يَمْنَعُ وجودُها حضورَ الملائكة:

القول الأول: أنّ الملائكة لا تدخل بيتًا ولا تصحب رفقة فيها كلب من الكلاب التي لم يؤذن فيها شرعًا[٥].

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٤/ ٨٤.
(٢) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، القرطبي، ٥/ ٤٢١، وفتح الباري، ابن حجر، ١٠/ ٣٨١.
(٣) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٠/ ٣٨٢.
(٤) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٠/ ٣٨١.
(٥) ينظر: المفهم، القرطبي، ٥/ ٤٢١، ٤٣٤، وشرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٦/ ٤٣٢، و ٥/ ٥٣١.

القول الثاني: أن الملائكة لا تدخل البيت ولا تصحب الرفقة التي فيها كلب أذن فيه شرعًا أو لم يؤذن فيه[١].

والراجح أن الملائكة لا تدخل البيت ولا تصحب الرفقة التي فيها كلب لم يؤذن فيه؛ لأن متخذ الكلب المأذون فيه قد فعل أمرًا مشروعًا له، والله أعلم.

والكلاب التي أذن الشرع فيها هي: كلب الماشية، أو كلب الزرع، أو كلب الصيد، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من اتخذ كلبًا، إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع، انتقص من أجره كل يوم قيراط))[٢].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله سبب نقص أجر متخذ الكلاب التي لم يأذن فيها الشرع من أجل: «امتناع الملائكة من دخول بيته، أو ما يلحق المارين من الأذى، أو لأنّ بعضها شياطين، أو عقوبة لمخالفة النهي، أو لولوغها في الأواني عند غفلة صاحبها، فربما تنجس الطاهر منها، فإذا استعمل في العبادة لم يقع موقع الطاهر»[٣].

وأجاز بعض العلماء اتخاذ الكلاب لغير هذه الثلاثة عند الحاجة، كحفظ الدور والدروب[٤]، وكاقتنائها للدلالة على المخدرات، أو اكتشاف السارق.

ويشترط في الكلب الذي يتخذه الإنسان ألا يكون أسودَ للمنع منه مطلقًا[٥].

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٤/ ٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الحرث والمزارعة، باب: اقتناء الكلب للحرث (١٨١) برقم (٢٣٢٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها (٩٥١) برقم (١٥٧٥) واللفظ له.

(٣) فتح الباري، ابن حجر (٥/ ٧)، وينظر: المفهم، القرطبي، ٥/ ٤٢٢.

(٤) ينظر: التمهيد، ابن عبد البر (١٤/ ٢١٩)، وشرح صحيح مسلم، النووي، ١٠/ ٢٣٦، وفتح الباري، ابن حجر، ٥/ ٧.

(٥) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد ابن عثيمين، ١١/ ٧٧.

أما بقية الكلاب التي لم يأذن الشارع باقتنائها فإنها سبب لحرمان دخول الملائكة بيت صاحبها، أو مرافقة مقتنيها، ونقص أجره، وفي ذلك خسارة عليه في الدنيا والآخرة، فالملائكة تنـزل بالرحمة والسكينة، وبُعدها سبب للشقاء والهلاك.

ومن أعظم الخسران ما يراه المسلم عند بعض الشباب ممن أعجب بالغرب أو الشرق، وأخذ يقلدهم في مأكله ومشربه ومسكنه، ومن ذلك تربية الكلاب، فصاحبه وقع في محذورين:

الأول: التشبه بالكفار والإعجاب بهم.

الثاني: حرمان الملائكة من دخول بيته ومرافقته.

والمسلم إذا تبينت له خطورة هذا العمل المخالف لما جاء به نبينا فعليه أن يحذر من صنيع ذلك، فالخير فيما دلنا عليه، والشر فيما حذرنا منه.

ثانيًا: امتناع الملائكة من دخول البيت الذي فيه صورة

من الأمور التي تحرِم الإنسان من صحبة الملائكة: وجود الصورة في البيت، فعن أبي طلحة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلبٌ، ولا صورة))[(١)].

فدل الحديث على أن الملائكة لا تدخل البيوت التي فيها صور، وهي الصور المحرمة، كالتماثيل، وصور ذوات الأرواح[(٢)].

وهذه الملائكة التي حرم الإنسان من صحبتها، ومن دخولها بيته، هي: الملائكة التي تطوف بالرحمة والتبريك والاستغفار، أمَّا الحفظة والكتبة فيدخلون كل بيت، ولا يفارقون الإنسان في كلّ أحواله[(٣)].

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحكم فليغمسه، حديث (٣٣٢٢)، وصحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة، حديث (٢١٠٦).

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٥/ ٥٣١.

(٣) ينظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٤/ ٨٤.

ثالثًا: امتناع الملائكة من مصاحبة الرفقة التي فيها جرس

ومن الأمور التي تحرم مصاحبة الملائكة، وجود الجرس، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب، ولا جرس))(١).

وعلة النهي عن الجرس، وهو الذي يعلق على الدواب، لمشابهته للنواقيس، ولأنه يكون مع مشيها شيء من العزف والموسيقى المحرمة(٢).

ويقال في المراد بهؤلاء الملائكة الذين حرم صحبتهم صاحب الجرس ما سبق من أن المراد بهم ملائكة الرحمة، أما الحفظة والكتبة فإنهم لا يفارقونه في كل أحواله.

المطلب الثالث: الآثار الإيمانية من صحبة الملائكة

الملائكة عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن عقيدة المسلم محبتهم، والبعد عما يكون سببًا في أذيتهم، فهم يحبون المجالس التي تقام فيها طاعة الله، ويحبون من يحبه الله، فإذا كانت الملائكة تشهد مجالس الذكر، وصلاتي الفجر والعشاء يجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار، وهم يسجلون أعمال البشر، ويكونون شفعاء لأصحاب الطاعات يوم القيامة، فعلى المسلم أن يحرص على هذه المجالس التي تحبها الملائكة، وتشهدها، إذ هي تنـزل بالسكينة والرحمة، ومجالسهم من أفضل المجالس، ويستشعر المؤمن بذلك عظمة هذه المخلوقات، التي تستطيع حضور كل مجلس من مجالس الذكر، ويجتمعون في كل مكان يصلي فيها المؤمنون الفجر والعشاء، ولهم قدرة عظيمة، وسرعة فائقة على الحركة والانتقال؛ مما يدل على عظمة خالقهم الذين مكنهم من ذلك.

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب كراهة الكلب والجرس في السفر، حديث (٢١١٣).
(٢) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ٦/ ٦٤١، وشرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٦/ ٤٣١.

المبحث الثاني

صحبة الشيطان، خطرها، وأنواعها، وسبل الوقاية منها

تمهيد: خطر صحبة الشيطان

الشيطان قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس، فكما أن الإنسان قد يبتلى بأصحاب سوء من البشر الذين هم شياطين الإنس، فقد يبتلى بمصاحبة شياطين الجن، والحديث هنا عنهم، إذ شياطين الإنس هم من جنس الإنسان.

والشيطان هو عدو الإنسان الأول، وبدأت عداوته منذ خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام، وقد حذر الله تعالى منه، وأخبر بعداوته لنا، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

المطلب الأول: أنواع صحبة الشيطان

أولاً: الصحبة الملازمة لكل البشر:

من ابتلاء الله تعالى للبشر، أنه وكل بكل إنسان قرينًا من الجن، ليكون سببًا في إضلاله إلا من عصمه الله تعالى منه، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما منكم من أحدٍ، إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ[1]، فلا يأمرني إلا بخير))[2].

(١) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في ضبط كلمة: (فأسلم) فذهب بعضهم إلى ضبطها بالضم: فأسلمُ، على أن معناه: أن الرسول ﷺ يسلم من شره، وذهب طائفة أخرى وهم الأكثر إلى ضبطها بالفتح: (فأسلمَ) أي: صار مسلمًا، وقيل: أسلمَ أي: استسلم، والله أعلم، ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ٨/ ٣٥٠، والمفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، القرطبي، ٧/ ٤٠١، وشرح صحيح مسلم، النووي، ١٧/ ١٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، حديث (٢٨١٤).

وهذا القرين من الجن جاء التصريح بأنه شيطان، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء، فرأى ما أصنع، فقال: ما لك يا عائشة؟ أغرت؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: أقد جاءك شيطانك. قالت: يا رسول الله، أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم))[1].

فمع كل إنسان قرين من الشياطين، يزيّن له الشر، ويوسوس له، ويصده عن الخير، فهو مصاحب له لا يفارقه في هذه الدنيا، فمن الشياطين ما يكون مصاحبًا للإنسان لا يفارقه أبدًا في هذه الدنيا، وهو القرين الذي جاء ذكره في حديث ابن مسعود ﷺ، ومنهم ما يكون مصاحبًا للإنسان في أحوالٍ معينة، حسب قرب المرء له، وابتعاده عنه.

فالقسم الأول من الشياطين هو القرين، الذي يصاحب الإنسان في كل حياته، فهذا لا يضر إلا من استجاب له، واسترسل معه، أما من استعاذ منه، وحرص على اتخاذه عدوًّا، فإنه لا يضره بإذن الله تعالى، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠].

وبين سبحانه حال المتقي مع هذا القرين حين يزيّن له الشر، ويوسوس له فيه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

والطيف الذي يصيبه، هو الوسوسة التي تكون من الشيطان، فإذا أصابت المتقي من هذا القرين تذكر ورجع إلى ربه، ولم يستمر على مخالفة ربه[2].

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، حديث (٢٨١٥).

(٢) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ٣/ ٣١٧.

ثانيًا: صحبة الشيطان لبعض البشر في أحوالٍ معينة

من الشياطين من يصاحب الإنسان في بعض أحواله، حسب قرب الإنسان منهم وبعده عنهم، وحسب قربه من الله وبعده عنه، فمن البشر من تكون الشياطين قرينة له ومصاحبةً له في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وسفره، وكل أحواله، ومنهم من لا تقربه الشياطين ولا تتخذه صاحبًا؛ وذلك لقوة إيمانه وصلاحه، كما قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك))(١).

وصحبة الشيطان أضر صحبة، وأشدها خطرًا لمن لم يحذر منها، ولهذا وصف الله الشيطان بأنه أسوأ قرين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ(٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ(٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ(٣٨)﴾ [الزُّخرُف: ٣٦-٣٨].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]

يقول الطبري رحمه الله: «ومن يكن الشيطان له خليلاً وصاحبًا يعمل بطاعته، ويتبع أمره، ويترك أمرَ الله في إنفاقه ماله رئاء الناس في غير طاعته، وجحوده وحدانية الله، والبعث بعد الممات (فساء قرينًا)، يقول: فساء الشيطان قرينًا»(٢).

ومن أعظم الصور التي تتحقق فيها صحبة الشيطان لبعض البشر، مصاحبته للسحرة، والكهان، وغيرهم ممن يدّعون علم الغيب عن طريق الاستعانة بالجن والشياطين، فلا يتحقق لهؤلاء مبتغاهم إلا بعد مصاحبتهم للشياطين، وتحقيق ما يطلبونه منهم، من الشرك والكفر

(١) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، حديث (٣٦٨٣)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث (٢٣٩٦).

(٢) جامع البيان، الطبري، ٨/ ٣٥٨.

بالله تعالى، على ما هو مفصل في مباحث السحر، ودعوى ادعاء علم الغيب[١].

وقد أخبر النبي ﷺ عن العلاقة بين الكاهن وشيطان الجن، حيث اتخذه وليًّا له، فأصبح يطلعه على ما استطاع استراقه من السمع؛ مما يدل على الصحبة الشديدة بينهما، فلا يتمكن الكاهن من الاستفادة من هذا الجني إلا بعد طول صحبة بينهما، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((سأل رسولَ الله ﷺ ناسٌ عن الكهان، فقال: ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونَنَا، أحيانًا بشيء فيكون حقًّا، فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرُّها[٢] في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة))[٣].

وقد ذكر شيخ الإسلام مواقف كثيرة لطوائف من البشر قويت صلتهم ومصاحبتهم للجن، حتى أصبحت الجن تخدمهم، وتنقلهم إلى أماكن بعيدة[٤]، وقد حذّر العلماء من التعامل مع الجن، والاستعانة بهم، ومصاحبتهم؛ وذلك لأمور[٥]:

١. جهل حالهم، فهم عالمٌ غيبي، فكيف يعرف الإنسان الصالح منهم من الفاسق، فإذا كان الإنسان يجهل حال كثير من البشر وهو يخالطهم، وقد لا يعلم المؤمن من الكافر منهم، والفاسق من الصالح، فكيف يعرف حال هؤلاء الجن وهم عالم غيبي، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: «لا ينبغي للمريض استخدام الجن في العلاج ولا يسألهم، بل يسأل

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ص٣٣١-٣٣٢، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان آل الشيخ، ص٣٢٧.

(٢) يقرها أي: يثبتها في أذنه، يقال: قررت الكلام في الأذن، إذا وضعت فمك عند أذن المخاطب، ينظر: فتح الباري، ابن حجر (١/ ١٧٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الكهانة، حديث (٥٧٦٢).

(٤) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ص٣٢٧.

(٥) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ٢/ ٧٦٥، وفتاوى اللجنة الدائمة (المجموعة الثانية)، ١/ ٢٠٩، رقم الفتوى (١٨٢٥٥)، وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان ١١/ ٣٧، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ، ص٦٠٥.

الأطباء المعروفين، وأما اللجوء إلى الجن فلا؛ لأنه وسيلة إلى عبادتهم وتصديقهم؛ لأن في الجن من هو كافر، ومن هو مسلم، ومن هو مبتدع، ولا تعرف أحوالهم، فلا ينبغي الاعتماد عليهم، ولا يسألون، ولو تمثلوا لك، بل عليك أن تسأل أهل العلم والطب من الإنس، وقد ذم الله المشركين بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا(٦)﴾ [الجن: ٦]، ولأنه وسيلة للاعتقاد فيهم والشرك، وهو وسيلة لطلب النفع منهم والاستعانة بهم، وذلك كله من الشرك»(١).

٢. عدم وجود دليل صحيح يدل على جواز الاستعانة بهم، فلم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن غيره من الصحابة أنهم كانوا يستعينون بهم في حروبهم وحاجاتهم، مع ما في الجن من مسلمين، ومع ما أعطاهم الله من قوة وقدرة، وحاجة المسلمين إلى مساعدتهم.

٣. أنَّ ذلك من استمتاع الإنس بالجن، والجن بالإنس، وهذا ممَّا جاءت النصوص بذمه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(١٢٨)﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وقد جاء في تفسير هذا الاستمتاع بأن الجني يستمتع بطاعة الإنسي له وتعظيمه وعبادته، والإنسي يستمتع بالجني بنيل مآربه وخدمة الجني له(٢).

٤. لم يذكر في النصوص التعاون بين الجن والإنس إلا على سبيل الذم، وذلك بما يكون من التعاون بين شياطين الإنس والجن، قال تعال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(١١٢)﴾ [الأنعام: ١١٢].

(١) ينظر: مجلة الدعوة، (٣٤) عدد (١٦٠٢)، ربيع الأول، عام ١٤١٨هـ.
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٧٣.

٥. أنَّ ذلك فيه فتح باب كبير للشر، والوقوع في الشرك، من دعائهم، وطلب كشف الكربات منهم، والتعلق بهم، وهذا أكثر ما يحصل بين الإنس والجن، وكم وجد من أقوام يدعون الرقية، وأنهم يعالجون المرضى بالكتاب والسنة مع الاستعانة بصالحي الجن لمعرفة مكان السحر، أو العائن له، ثم يتبين من حال هذا الدعيّ للرقية بأنه ممن يستخدم الجن بأمور شركية، فلا تحقق له ما يريد إلا بما يقدمه لهم من الوقوع في الشرك، كحال السحرة والكهان.

وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «لا يجوز الاستعانة بالجن والغائبين؛ لأن هذا من الشرك بالله ﷻ؛ لأن الاستعانة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله لا من الجن ولا من الإنس، ولا من الملائكة ولا غيرهم، إلا مع القادر الحي الحاضر من الإنس فيما يقدر عليه، كالاستعانة بالإنسان الحي القادر في الزراعة والبناء وقتال الأعداء، أما الجن فحكم حاضرهم كغائبهم لا تجوز الاستعانة بهم في شيء من الأشياء»(١).

وجاء عن ابن تيمية رحمه الله وغيره جواز استعمالهم إذا كان في أمرهم بالمعروف، أو في أمر مباح(٢)، والراجح القول الأول، بالمنع من ذلك مطلقًا، لما سبق من التعليلات.

المطلب الثاني: سبل الوقاية من صحبة الشيطان

جاءت الشريعة الإسلامية بحث المسلم على البعد من الشيطان، وشرعت له وسائل مهمة بها يستطيع الابتعاد عن صحبة الشيطان، ومن ذلك:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة

فقد أخبر الله تعالى بأن الشيطان ليس له طرق إلى عبادِه المخلصين، وعبادُه المخلصون

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب أحمد الدويش رقم (١٦١٧١)، ١/ ١٧٨.
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١١/ ٣٠٧، و ١٣/ ٨٧، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ١٧/ ١٦.

هم الذين تمسكوا بشرعه، والتزموا بالكتاب والسنة، اعتقادًا وعملاً، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

ثانيًا: الاستعاذة بالله من الشيطان، وملازمة ذكر الله

من أعظم الوسائل التي تعين المسلم، وتحفظه من الشيطان، وتبعده من مصاحبته، الاستعاذة بالله تعالى منه، فقد شرع للمسلم أن يستعيذ بالله منه في مواطن كثيرة، عند نزول منزل، وعند قراءة القرآن، وعند دخول الخلاء، وعند الجماع وغيرها.

وكذلك الاشتغال بذكر الله، فهو خير معين لطرد الشيطان، فيذكر الله تعالى عند دخوله البيت، وعند أكله، وعند نومه، وغيرها، فالذكر حصنٌ حصينٌ للمؤمن، يحفظه من الشيطان، ويجنبه مصاحبته.

ثالثًا: لزوم جماعة المسلمين، والابتعاد عن الوحدة والفرقة

من أعظم الوسائل التي تحمي المسلم من مصاحبة الشيطان، وتبعده عنه، لزوم جماعة المسلمين، والحذر من الفرقة، قال ﷺ: ((عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة))[1]، ففيه بيان أهمية لزوم جماعة المسلمين، فهي قاعدة من قواعد الدين، فالشيطان مع الواحد، أي المفارق للجماعة الخارج عن طاعة الأمير[2]، وهو من الاثنين أبعد من الواحد، والله أمر بالاجتماع، ونهى عن الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فأمر سبحانه بالألفة والاجتماع على كلمة الحق، وحذر من الفرقة

(١) مسند أحمد، ١/ ٢٦٨، رقم (١١٤)، وسنن الترمذي، في أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث (٢١٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٢) ينظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٦/ ٣٢١.

والاختلاف التي يسعى لها الشيطان، ويكون قريبًا من أصحابها؛ إذ هو مع الجماعة بعيد، ويد الله مع الجماعة.

رابعًا: الحذر من الخلوة مع المرأة الأجنبية:

حذرت الشريعة الإسلامية من خلوة الرجل مع المرأة التي ليست من محارمه، وعللت ذلك بأن الشيطان يكون مصاحبًا لهما في هذه الخلوة، فعن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال ﷺ: ((ألا لا يخلونّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان...))[1].

وفي صحبة الشيطان لهما خطرٌ عظيم، وذلك في الوسوسة وتزيين الفاحشة، فقد يحصل منهما الوقوع فيها أو في مقدماتها، ولهذا نهت عنه الشريعة الإسلامية، إذ وهو وسيلة من وسائل الوقوع في الفاحشة.

(١) الحديث السابق.

المبحث الثالث
صحبة القرآن، فضلها، وصورها

التمهيد

القرآن هو: كلام الله تعالى، المنـزل على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، المعجز بلفظه ومعناه، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس(١)، وهو أعظم الكتب التي أنـزلها الله على أنبيائه.

المطلب الأول: فضل صحبة القرآن

إذا كان القرآن بهذه المنـزلة فإن صحبته أعظم صحبة، إذ صاحبُه صاحب لكلام الله تعالى، وكفى بهذه الصحبة شرفًا وفضلاً، وقد جاءت نصوص تبين صحبة القرآن لطوائف من المؤمنين، فمن ذلك:

١. ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: ((إنما مثل صاحب القرآن، كمثل صاحب الإبل المُعَقَّلة(٢)، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت))(٣)، يراد بكلمة صاحب، من ألف شيئًا، واستعمله، واختص به(٤)، فكذلك صاحب القرآن.
٢. ما ورد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه))(٥).

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ١/ ١٧٢، ١٨٦، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبه، ص٢١.
(٢) المعقّلة: أي المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير، ينظر: فتح الباري لابن حجر، ٩/ ٧٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، حديث (٥٠٣١).
(٤) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ٣/ ١٥٦، وشرح صحيح مسلم، النووي، ٦/ ٧٧.
(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، حديث (٨٠٤).

فجاءت النصوص لتصف العلاقة بين المؤمن الملازم للقرآن بالصحبة، التي تدل على خصوصية واهتمام، وكثرة تواصل وخلوة وتناجٍ، فمن شدة ملازمته للقرآن وصف بأنه صاحبٌ له، وهذا الوصف يشعر بالألفة بينهما، وكثرة اللقاء.

المطلب الثاني: صور صحبة المؤمن للقرآن

أولاً: حفظ القرآن

إن حافظ القرآن الكريم من أعظم أصحابه، إذ هو كثير الملازمة له، ولم يصل إلى هذه المنـزلة، وهي حفظه إلا بعد طول مصاحبة بينهما، وهو -أيضًا- ملتزم بهذه الصحبة في مستقبله، فلا يتمكن حافظ القرآن من الاستمرار على ضبطه وإتقانه إلا بمعاهدته، كما جاء وصفه في حديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق، وتشبيهه بصاحب الإبل المعقلة، فمدارسة صاحب القرآن له، وتعاهده في ضبطه وتلاوته، يعينه على الإتقان، فما دام التعاهد موجودًا يحصل الضبط، كما أن العقال إذا كان موجودًا في البعير وجد الحفظ له، وأمن من شروده[1].

ثانيًا: الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته

ومن أصحاب القرآن -أيضًا- المكثرون من قراءته وتلاوته في معظم أوقاتهم، فمن عمَر أوقاته بقراءة القرآن آناء الليل والنهار، صار من أصحابه الملازمين له، ولهذا جاء في الحديث، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، أنه قال: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار... الحديث))[2]، وقد جاء في رواية لحديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق عند مسلم: ((وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره،

(١) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٩/ ٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، حديث (٥٠٢٥)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، حديث (٨١٥).

وإذا لم يقم به نسيه))[١]، فمن أعظم صحبة القرآن، أن يكون للمسلم وردٌ من القرآن يقرأه في صلاة الليل، ويتهجد به، كما كان عليه النبي ﷺ، وصحبه الكرام.

ثالثًا: العمل بالقرآن، وفهمه وتدبره:

ومن أصحاب القرآن، من يعمل بما فيه، فيحل حلاله، ويحرم حرامه، فيكون حريصًا على تطبيقه، والعمل بما جاء فيه، ولهذا وصفت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ بأنه: كان خلقه القرآن[٢]، أي: يأتمر بما أمر الله تعالى به، وينتهي عما نهى سبحانه عنه[٣]، فمن كان القرآن دليله في عمله وحكْمه، لزمه ذلك طول الصحبة له.

وقد أخبر الله تعالى عن الغاية التي أنـزل القرآن من أجلها، فقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

ولا شك أن التدبر يستلزم طول مصاحبة، واعتناء وعيشًا مع القرآن.

المطلب الثالث: الأثر العقدي لصحبة القرآن

أولاً: أن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة))[٤].

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعاهد القرآن، حديث (٧٨٩).
(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، حديث (٧٤٦).
(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح، الملا علي القاري، ١/ ١١٩.
(٤) سبق تخريجه قريبًا.

فمن كان مصاحبًا للقرآن في الدنيا، وجد ثمرة ذلك، بأن يكون القرآن محاجًّا له عند ربه.

ثانيًا: أن القرآن يحفظ صاحبه من شياطين الجن والإنس، وفي حديث أبي أمامة السابق: سورة البقرة، لا تستطيعها البطلة، وهم: السحرة.

ثالثًا: أن القرآن يرفع صاحبه يوم القيامة درجات، حسب قراءته له في الدنيا واهتمامه به وتلاوته له، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: ((يقال، يعني لصاحب القرآن: اقرأْ وارتقِ ورتلْ، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منـزلتك عند آخر آية تقرأها))[1].

فيقال له: ارتقِ، أي في درجات الجنة على ما كنت تقرأ من آي القرآن[2].

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، حديث (١٤٦٤)، وسنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن، حديث (٢٩١٤)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٢٨١، رقم (٢٢٥٣).

(٢) ينظر: معالم السنن، الخطابي، ١/ ٢٩٠.

المبحث الرابع
صحبة الإنسان للحيوان

من الأجناس التي قد يصاحبها الإنسان: الحيوان، فقد يلازم طوائفُ من البشر أنواعًا من الحيوان ملازمةً طويلة مما تتحقق فيه الصحبة بينهما، وقد سبق في تعرف الصحبة: ما يلازمه الإنسان من حيوان أو غيره، والذي يعنينا هنا هو أبرز المسائل العقدية المتعلقة بصحبة الإنسان للحيوان، والتي يمكن إيجازها بالصور التالية:

أولاً: عبادة الحيوان

يقول ابن القيم رحمه الله متحدثًا عن تلاعب الشيطان ببني آدم: «ومن تلاعبه: تلاعبه بعبَّاد الحيوانات، فطائفةٌ عبدتِ الخيل، وطائفة عبدت البقر»(١).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة، وقالوا: هي بنات الله تعالى، تعالى الله عن ذلك، وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر»(٢).

صور من عبادة البشر للحيوان قديمًا وحديثًا

عبادة الحيوان حدثت في البشرية قديمًا، ولا تزال أمم من البشر تعبد أنواعًا من الحيوانات وتقدسها، ولم يكن هذا الشرك محصورًا في مصرٍ دون مصرٍ، بل وقع في أمصار كثيرة، منها:

١. مصر

عبد المصريون أنواعًا كثيرة من الحيوانات، وكانت عبادتهم لها قديمة جدًّا، يقول أبو زهرة، رحمه الله: «اتفق المؤرخون على أن المصريين كانوا يعبدون الحيوان، وتضافرت على ذلك الأخبار، وبلغت حدًّا استفاضت معه، فلا يستطيع أحد أن ينكرها، ولقد كانوا يتحمسون في عبادتهم للحيوان

(١) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ٢/ ٢٣٥-٢٣٦.
(٢) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٥٨.

إلى حد لا يحفلون معه بقويّ مهما تكن رهبته أن يمس ذلك الحيوان بسوء»[١].

فلم تكن عبادة المصريين مقصورة على نوع واحد من الحيوان، بل اشتملت على أعداد كبيرة من الحيوان، منها: القط، والعجل، والتمساح، والثعبان، والصقر، والكبش، والسبع، والكلب، والعنـزة، وابن آوى، وفرس البحر، والضفدعة وغيرها من المخلوقات[٢].

٢. الهند

وقد حظي الحيوان بنسبة كبيرة من بين المعبودات الأخرى في الهند، فمن أعظم الحيوانات المعبودة في الهند البقرةُ؛ فقد نالت النصيب الأكبر في ذلك، فلها قداسة تعلو أي قداسة، فقد قدس الهندوس البقرة، وحرموا أكل لحمها، أو استخدامها، وقد رافقت قداستها الأجيال، وما تزال حتى اليوم؛ حيث توجد تماثيلها وصورها ورموزها في كل معبد، بل في كل بيت هندوسي، وذبحها حتى اليوم يعد عندهم من الجرائم الشنيعة[٣].

ولم تقتصر العبادة في الهند على البقرة، بل هناك حيوانات أخرى عبدت، يقول الدكتور: محمد أحمد الخطيب: «الهندوس يؤلهون القردة والأفاعي، وهي مصادر الرعب التي ترمز لطبيعة الآلهة، ولعل أخطر هذه الأفاعي المقدسة أفعى تسمى (ناجا)، لها عند الهندوس منـزلة خاصة، فهم يقيمون لها حفلاً دينيًّا كل عام تقدم لها فيه هي وزملائها من الأفاعي قرابين من اللبن والموز توضع عند مداخل جحورها، وأكبر مركز عبادة الأفاعي في شرقي ميسور، فهناك معابد في هذا الإقليم تسكن فيها جموع زاخرة من الأفاعي، حيث يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها، وإذا كانت القردة والأفاعي لها هذه القدسية عند الهندوس، فهناك من

(١) مقارنات الأديان، أبو زهرة، ص١٣.

(٢) ينظر: الأديان الوضعية، إبراهيم محمد، ص٦٧، وأديان العالم، حبيب سعيد، ص٣٢، وموسوعة الأديان، حسن نعمة، ص٩٦-٩٧.

(٣) ينظر: أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، ص ٢٨، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص٦٠٢، وأديان العالم، حبيب سعيد، ص٨٢.

الحيوانات الأخرى ما يتمتع هو الآخر بمثل هذه القدسية مثل التماسيح والنمور، والطواويس والببغاوات، بل والفئران أيضًا»[١].

ومن الآلهة المعبودة في الديانة الهندوسية: السلحفاة، الخنـزير، الأسد، رأس الفيل، الحدأة، رأس الحصان[٢].

وقد وجدتْ عبادةُ الحيوان أيضًا في اليابان والرومان وعند الكنعانيين، وفي جزيرة العرب، وقبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية[٣].

ثانيًا: مصاحبة الغنم زمن الفتن

من الصور التي تتحقق فيها الصحبة بين الإنسان والحيوان، اتخاذ الغنم زمن الفتن، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يوشك أن يكون خيرَ مال المسلم غنمٌ يتبع بها شَعَفَ الجبال[٤]، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن))[٥].

قال ابن عبد البر– رحمه الله –: «وفي هذا الحديث حضّ على كسب الغنم، وفي ذلك فضل لها»[٦].

فالغنم خير مال المسلم في ذلك الوقت؛ لأن المعتزل يأكل من لحومها ونتاجها ويشرب من ألبانها، ويستمتع بأصوافها باللبس وغيره، وهي ترعى الكلأ في الجبال، وترد المياه؛ وهذه المنافع والمرافق لا توجد في غير الغنم[٧].

(١) مقارنة الأديان، الخطيب، ص٤٠١.
(٢) ينظر: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، عبد الراضي، ص٥٤–٥٥.
(٣) ينظر: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، حسن نعمة، ص٥٢، ٥٣، ٨٠، ٩٢، ١٢١.
(٤) شَعَفَ الجبال: رؤوسها، وشعفة كل شيء أعلاه. ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ١/ ٧٢.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، حديث (١٩).
(٦) التمهيد، ابن عبد البر، ١٩/ ٢٢٠.
(٧) ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب، ١/ ٩٩.

فجاء الحث في هذا الحديث على اتخاذ الغنم وصحبتها عند زمن اشتداد الفتن الذي يكون في آخر الزمان، وفرار المسلم بدينه خوفًا من الوقوع فيها؛ وخصت الغنم لما فيها من السكينة والبركة، قال ابن بطال رحمه الله: «وقال أبو الزناد: خص الغنم من بين سائر الأشياء حضًّا على التواضع، وتنبيهًا على إيثار الخمول وترك الاستعلاء والظهور، وقد رعاها الأنبياء والصالحون»(١).

والغنم من الدوابّ التي دلت السنة على حصول البركة فيها، فعن أم هانئٍ رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال لها: ((اتخذي غنمًا؛ فإنَّ فيها البركة))(٢).

وجاء في حديث عروة البارقي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((الإبل عزٌّ لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة))(٣).

ففي صحبتها عند اشتداد الفتن عزلة مشروعة، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه»(٤).

وعلى هذا ينبغي أن يكون حال المؤمن إذا خشي الوقوع في الفتن، ولم يقدر على إصلاحها، وكان في خلطته مع الآخرين ضرر على دينه، كما فعل ذلك أصحاب الكهف عند خوف الفتنة، وكذلك فعل هذا بعض الصحابة والسلف عند وجود الفتن، أما إن كان في خلطته صلاح للحال وتقليل من الشر، وكان قادرًا على الثبات على دينه، فإن المسلم الذي

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ١/ ٧١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٥/ ٣٧٩، حديث (٢٧٣٨١)، وابن ماجه في سننه في أبواب التجارات، باب: اتخاذ الماشية، حديث (٢٣٠٤)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٤٠٤، رقم (٧٧٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في أبواب التجارات، باب: اتخاذ الماشية، حديث (٢٣٠٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ٣٦٢، رقم (١٧٦٣).

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ١٣/ ٤٢.

يخالط الناس ويصبر على أذاهم، ويصلح من حالهم أفضل من المعتزل، وعلى هذا سار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من العلماء المصلحين[1].

فالأصل في المسلم مخالطة الآخرين ودعوتهم، والصبر وتحمل الأذى في الدعوة، والعزلة مختصة بالحال التي سبق الكلام عليها والله أعلم.

(١) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٣/ ٤٣، وشرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٣/ ٥١٠.

المبحث الخامس
صحبة المكان والزمان

سبق تعريف الصحبة بأنها الملازمة للشيءِ، فقد يصحب الإنسان إنسانًا، وقد يصحب مكانًا، أو زمانًا[1]، فمن الأمور التي تتحقق فيها الصحبة: المكان والزمان، ولهذا جاءت نصوص كثيرة في إطلاق الصحبة على ملازمة مكان معين، مثل: أصحاب الكهف، وأصحاب الجنة، وأصحاب النار، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الأعراف وغيرها، وكذلك جاء إطلاق الصحبة على صحبة الزمان كما في: أصحاب السبت.

فالإنسان قد يختار مكانًا معينًا فيلازمه، كمن عكف على قبر من القبور ولازم الجلوس عنده، ودعا صاحبه من دون الله، أو صنمًا من الأصنام، أو بقعة من البقاع، فإن تلك الملازمة تجعله مصاحبًا لها، أو يختار زمانًا معينًا، فيعتني به ويجعل له مزيد اهتمامٍ على غيره، ممَّا يجعل له صحبة تختلف عن غيره.

والله تعالى هو الذي يصطفي ما يشاء ويختار، فكما أن الله فضل بعض البشر على بعض، وفضل بعض الأعمال على بعض، فإنه تبارك وتعالى فضل بعض الأماكن على غيرها، وفضل بعض الأزمان على غيرها.

فقد فضل سبحانه مكة على غيرها من البلاد، وفضل ما فيها من المسجد الحرام والمشاعر، وفضل المدينة وفضل ما فيها كمسجد الرسول ﷺ، ومسجد قباء، وفضل المسجد الأقصى، وفضل الشام، وأخبر بأنها مباركة، وفضل المساجد على غيرها من البقاع.

وكذلك فضل من الأزمان: شهر رمضان، وجعل لليلة القدر فيه مزيد تفضيل، وفضل

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأَصْبَهاني، ص٤٧٥.

عشر ذي الحجة على بقية الأيام، وجعل للأشهر الحرم مزية على غيرها من الشهور، وفضل أيام الجمعة والاثنين والخميس على بقية أيام الأسبوع، وفضل الثلث الأخير من الليل على بقية أوقات اليوم.

أبرز المسائل العقدية المتعلقة بصحبة المكان والزمان

أولاً: تفضيل المكان أو الزمان أمرٌ توقيفي

تفضيل شيءٍ من المكان أو الزمان أمر توقيفي، فلا يجوز أن نعتقد فضيلة مكانٍ معينٍ، أو زمانٍ معينٍ إلا بدليل من الكتاب أو السنة، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، يقول السعدي رحمه الله: «فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأوامر، والأزمان، والأماكن، وأن أحدًا ليس له من الأمر والاختيار شيء»(١).

فمن لازم مكانًا أو زمانًا معينًا، معتقدًا فضيلته فقد أحدث في دين الله تعالى ما لم يشرعه، وذلك كمن يعتقد فضيلة لبعض الأماكن من غير دليلٍ صحيح، ثم يقصد الذهاب إليها أو التبرك بها، مثل: غار حراء، أو طريق الهجرة، أو بعض الأماكن التي مر عليها النبي صلى الله عليها وسلم، أو جلس بها من غير قصد التعبد بها، واعتقاد فضيلتها، ولهذا أمر عمر بن الخطاب ﷺ بقطع الشجرة التي حصلت عندها بيعة الرضوان حين رأى الناس يقصدون الصلاة عندها، فخاف عليهم الفتنة(٢).

وأعظم من ذلك من يعتقد فضيلة لقبرٍ معين لنبيٍّ، أو ولي أو غيرهما، أو صنمٍ معين، فيقصد الصلاة عنده، أو الطواف به، والوقوع في الشرك بدعائه، وطلب الحاجات من الميت،

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٦٢٢.

(٢) ينظر: البدع والنهي عنها، ابن وضاح، ص ١٠٤، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري، ٧/ ٤٤٨.

ولهذا حذر النبي ﷺ من اتخاذ القبور مساجد، فقال: ((لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))(١).

وكذلك من الأمور المبتدعة من اعتقد فضيلةً لزمان معين، ثم قصد التعبد فيه، مما لم يرد فيه دليل صحيح من كتاب، أو سنة، كمن يحتفل بمولد النبي ﷺ، أو ليلة الإسراء أو غيرها من المواسم التي لم يثبت فيها شيءٌ صحيح.

ثانيًا: أن يكون التعبد لله تعالى بالمكان والزمان الفاضل على ما شرع الله ورسوله ﷺ

فإذا ثبت لمكان معين، أو زمان معين فضيلة، فإن التعبد لله تعالى به، والتبرك به لا بد أن يكون على ما جاء في الشرع، فالمساجد الثلاثة وغيرها من المشاعر المفضلة يتقرب المسلم إلى الله بالتعبد فيها بما شُرع من الصلاة، والطواف بالكعبة، وغير ذلك، ولا يجوز للمسلم أن يتعبد فيها بغير ما شُرع، كمن يتمسح بجدرانها، أو يقبّل شيئًا منها لم يشرع تقبيله، أو يصعد على جبالها التي لم يشرع الصعود عليها، وقد قال ﷺ: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))(٢).

وكذلك الزمان الفاضل يتقرب المسلم إلى الله تعالى فيه بما جاء في الشرع، ويحذر البدع، أو الغلو فيه، فيتعبد إلى الله تعالى بشهر رمضان بصيامه وقيامه على الوجه المشروع، ويحرص على صيام الأيام الفاضلة، كيوم الاثنين، وعرفة، وعاشورا، وغيرها، لما جاء من الشريعة في الحث على ذلك، ولا يقيم فيها شيئًا من العبادات لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ، ويعظم الأيام التي أمر الله بتعظيمها والأشهر التي حرمها الله، ولا يحتفل بالأعياد المشروعة إلا على ما يوافق ما شرعه الله سبحانه ونبيه ﷺ فيها.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث (١٣٣٠).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور، حديث (١٧١٨).

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

- الصحبة في اللغة: مقارنة الشيء ومقاربته، وفي الاصطلاح: الملازمة سواءٌ أكانت لإنسانٍ، أم لمكانٍ، أم لغيرهما.
- اهتم الإسلام بموضوع الصحبة؛ وذلك لحاجة الإنسان إلى المخالطة، ولشدة تأثير الصاحب على صاحبه، فجاءت النصوص الكثيرة في الحث على اختيار الصاحب الصالح.
- الملائكة عبادٌ مكرمون، ولهم شهود وحضور مع مجالس البشر، فيسجلون أعمالهم، ويقاتلون مع المؤمنين.
- قد وكِّل بكل إنسان قرينٌ من الجن، ملازم له، لا يفارقه، وهذا القرين لا يضر إلا من استرسل معه واتبع وساوسه، ومن البشر من يتخذ الشيطان صاحبًا له، وأعظم صور صحبة البشر للشيطان من يستخدم الشياطين ويستعين بهم في معاصي الله، وحفظُ الله من شره يكون بذكره، والاستعاذة بالله من شره، والتمسك بالكتاب والسنة.
- القرآن كلام الله تعالى، ومن البشر من يوفّق فيصاحب القرآن، بحفظه، وتلاوته، والعمل به، وتدبره وتفهمه، فيكون القرآن شفيعًا له يوم القيامة عند الله تعالى.
- قد يصاحب بعضُ البشر الحيوانَ، فمن ذلك عبادة الحيوان عند طوائف منهم، وكذلك من صور هذه الصحبة اتخاذ المؤمن للغنم زمن الفتن، واعتزال هذه الفتن.
- يصاحب الإنسان مكانًا أو زمانًا معينًا، وذلك بملازمته له، لكن لابد أن تكون هذه الملازمة لهذا المكان قد جاء الدليل على تفضيلها، وتكون الملازمة موافقة لما قرره الشرع.

أهم التوصيات:

هذا البحث كان الحديث فيه عن صحبة الإنسان لغير بني جنسه، وما فيه من مسائل عقدية، فيحسن جمع المسائل العقدية المتعلقة بصحبة الإنسان لغيره من البشر، مثل: القرين، والوالدين، والزوجة، والكافر، وغيرهم ففيها مسائل كثيرة لها أهمية.

المصادر والمراجع

أديان العالم: حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.

أديان الهند الكبرى: شلبي، د. أحمد، ط١١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها: إبراهيم، د. إبراهيم محمد، ط١، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ.

إكمال المعلم بفوائد مسلم: اليحصبي، القاضي عياض بن موسى، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، ط١، مصر الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ.

التحير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

تفسير القرآن العظيم: الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

التمهيد لشرح كتاب التوحيد: آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، ط١، دار التوحيد، الرياض، ١٤٢٤هـ.

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: التميمي، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المحقق: زهير الشاويش، ط١، دمشق، لمكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

جامع الترمذي: الترمذي، محمد بن عيسى، ط٢، الرياض، مكتبة دار السلام، ١٤٢١هـ.

دراسات في الأديان الوثنية القديمة: عجيبة، د. أحمد علي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: الأعظمي، د. محمد محمد، ط٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٩هـ.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

سنن أبي داود: السِّجِسْتانيّ، سليمان بن الأشعث، ط١، الرياض مكتبة دار السلام، ١٤٢٠هـ.

شرح العقيدة الطحاوية: الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١٠، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

الشرح الممتع على زاد المستقنع: العُثَيمِين، محمد بن صالح، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢هـ.

شرح رياض الصالحين: العُثَيمِين، محمد بن صالح، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

صبح الأعشى في كتابة الإنشاء: القلقشندي، أحمد بن علي، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ.

صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل، ط٢، الرياض، مكتبة دار السلام، ١٤١٩هـ.

صحيح الجامع الصغير وزيادته: الألباني، محمد ناصر الدين، د. ط، بيروت، المكتب الإسلامي، د. ت.

صحيح مسلم: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، ط٢، الرياض، مكتبة دار السلام، ١٤٢١هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري: العَسْقلانيّ، أحمد بن علي بن حجر، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، د. ط، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

القاموس المحيط: الفيروزآبادي، مجد الدين، ط٨، بيروت. مؤسسة الرسالة ١٤٢٦هـ.

الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، محمد بن عبد الله، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

لسان العرب: الأنصاري، محمد بن مكرم ابن منظور، ط٣، بيروت دار صادر، ١٤١٤هـ.

مجموع الفتاوى: الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د. ط، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العُثَيمِين: العُثَيمِين، محمد بن صالح، جمع وترتيب فهد السليمان، ط الأخيرة، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

المدخل لدراسة القرآن الكريم: أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، ط٢، الناشر: مكتبه السنة، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: القاري علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.

مسند الإمام أحمد بن حنبل: الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

مشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، ط١، دار الفيصل للثقافة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

معالم التنـزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: أحمد الزيات وحامد، عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة.

المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٧هـ.

مقارنات الأديان: أبو زهرة، محمد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م.

مقارنة الأديان: الخطيب، د. محمد أحمد، ط٢، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م.

مقاييس اللغة: القَزْوِيني، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، ط٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

موسوعة الأديان السماوية والوضعية: حسن نعمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤م.